حتى يبقى الأطفال أطفالاً

شيماء المرزوقي

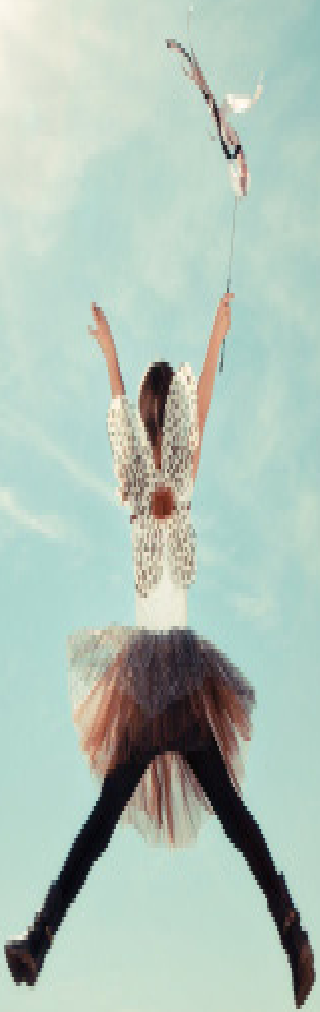

حتى يبقى الأطفال أطفالاً

التأليف: شيماء المرزوقي
التصميم:

جميع الحقوق محفوظة.
الطبعة الأولى – ٢٠١٨
دبي، الإمارات العربية المتحدة
الإبداع والمستقبل للنشر والتوزيع
www.futcr.net

لا يسمح بنسخ أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة من وسائل النسخ وبأي شكل إلا بإذن خطي من الناشر

إذن الطباعة، المجلس الوطني للإعلام.
MC-01-01- 8802538
الرقم الدولي المعياري للكتاب، وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع
ISPN:978-9948-39-587-4

المحتويات

مهارة أن تكون أنت ٤

من يتصرف بدافع الخوف يظل خائفاً ٧

أدب الأطفال..المهمة الحقيقية ١٠

حتى يبقى الأطفال أطفالاً ١٣

عند فتح الإبريق ١٦

هل كانت السلحفاة عنيدة؟ ١٩

الأم لا تستسلم ٢٢

التعليم لا نريد اصلاح نريد تحول ٢٥

التعليم لماذا نخاف الإبتكار ٢٨

المعرفة قوة حتى مع أطفالنا ٣١

حتى لا تتوقف العقول الواعدة ٣٣

حتى لانؤثر على مستقبلهم ٣٦

درهم الحلاق والطفل الذكي ٣٨

نريد لأطفالنا مثل أطفال فنلندا ٤٠

كنز البشرية في مجال التعليم والتعلم ٤٢

هدف بسيط ٤٤

مهارة أن تكون أنت

بـات معظـم النـاس متشـابهين، بالأفـكار التـي يؤمنـون بهـا، بأسـلوب الحيـاة التـي يعيشـونها، بالأزيـاء التـي يرتدونهـا، بأسـاليب الترفيـه التـي يتمتعـون بهـا.
قلّما تجـد شـخص يغـرد خـارج السرب، يفكـر بشـكل مختلـف، يطـرح قضايـا منسـية أو غريبـة، لـه أسـلوب ومـزاج خـاص ومبتكـر.. قليلـون جـدا ولكـن هـؤلاء القلّـة هـم مـن نجحـوا بالتغلـب عـلى مـا يسـمّى التأثـير الاجتماعـي.

يقـول الأديـب والفيلسـوف الأمريـكي رالـف والـدو: «أن تكـون نفسـك، في عـالم يحـاول جعلـك شـخص آخـر، لهـو أعظـم إنجـاز».

هـذه حقيقـة مـرّة، فللمجتمـع تأثـير كبـير علينـا وفي أحيـان يكـون سـلبي، عندمـا تعتقـد أنـك حـر بأفـكارك وقراراتـك واختيـارك وأفعالـك ومفاهيمـك عـن الحيـاة، تذكـر أن هنـاك تأثـير اجتماعـي شـكّل هـذه المفاهيـم والأفـكار ونحَتهـا لتتناسـب مـع الجمـوع، التأثـير الاجتماعـي هـو عائلتـك، زمـلاء العمـل والدراسـة، المتحدثين والمحاضريـن، التلفاز والسـينما والدعايـات التجاريـة والمجـلات والكتـب والصحـف والمواقـع التـي تتصفحهـا والإذاعـات والأغـاني التـي تسـمعها، بشـكل يومـي هـذه العوامـل تلعـب دورهـا بالتأثـير عـلى مـا تقولـه ومـا تؤمـن بـه وتتـصرف وِفْقـه.

إن التأثـير الاجتماعـي ليـس بالـضروري أن يكـون سـلبي ولكـن الانجـراف نحـو كل مـا يُقـدّم ويُقـال لنـا يحرمنـا مـن تفعيـل عقولنـا وتحكيمهـا ويـزرع في داخلنـا خـوف لا مـبرر مـن الابتـكار والاختـلاف والتحـرر مـن النمـط الاجتماعـي المحيـط بنـا. تجـد كل شـخص يبـذل كل جهـده ليكـون مثـل زميلـه، مديـره، أو أحـد المشـاهير.. يفكـر بـكل السـبل ليكـون مثلهـم ولا يفكـر بكيـف يطـور نفسـه ويكـون مميـز ويعكـس الوجـه الحقيقـي والمزايـا والمواهـب التـي حباهـا اللـه لـه.

هنـاك عـدة أمـور علينـا القيـام بهـا لنكـون عـلى حقيقتنـا، أو لنكـون أنفسـنا! أوّلهـا أن نتعلـم كيـف نفكـر بشـكل مسـتقل، بمعنـى أننـا نسـتقبل الفكـرة ومـن ثـم نقلّبهـا في أدمغتنـا، ونحللهـا ونحسـب الخسـائر والمكاسـب منهـا. بهـذه الطريقـة تأثـير الزمـلاء والأهـل لـن يكـون مشـكلة، فـكل مـا يؤمنـون بـه ويقولونـه سـيدخل لدماغـك لتتـم فلترتـه.

الأمـر الآخـر وهـو دراسـة تسلسـل القـرارات التـي نصنعهـا، فعندمـا نقـرر فعـل شيء مـا لأن شـخص مـا فعلـه، مـن المهـم أن نسـأل مـا لـذي سـيحصل بعـد ذلـك؟! هـل سـأتحول فجـأة لهـذا الشـخص الـذي أحبـه؟ هـل سـيحبني النـاس فجـأة لأننـي أقلـده؟ هـل سـيطورني هـذا ثقافيـاً، اقتصاديـاً، مهنيـاً أو اجتماعيـاً؟ مـا هـي الخسـائر التـي سـأتكبّدها عنـد فعـل ذلـك؟ هـذا التحليـل يسـاعد كثـيراً في جعـل أفعالنـا موزونـة وغـير منجرفـة تحـت أي تأثـير.

آخـر مفتـاح للتغلـب عـلى التأثـير الاجتماعـي، هـو أن تركـز عـلى مـا تريـده وليـس عـلى مـا يريـده الآخـرون، لـكل منـا أهـداف شـخصية وأحـلام ورغبـات، ولكنهـا سرعـان مـا تندثـر وتختفـي لأنـك أصبحـت مشـغولا بمواكبـة المجتمـع وتطوّراتـه، مشـغولا بجعـل نفسـك نسـخة مـن الآخريـن.. مـن المهـم أن تسـتعيد ذاتـك الحالمـة والطموحـة ومـن جـدا أن تسـعى لهـذه الأهـداف حتـى لـو تمـت محاربتـك أو نبـذك أو تـم التخـلي عنـك لأنـك أصبحـت مختلفـا أو لا تتناسـب مـع محيطـك. فالسـعي لأهدافـك الشـخصية والرغبـة بتحقيـق مـا تريـده، هـو مـا سـيطوّرك ويلهمـك وأيضـا سـيتجلّى لـك حقيقـة كينونتـك الصافيـة والخاليـة مـن أي تأثـير أو شـوائب.

من يتصرف بدافع الخوف يظل خائفاً

أتذكـر في طفولتـي كان لـدي صديقـة، تهـوى تأليـف القصـص القصـيرة، و الحـق أن قصصهـا كانـت ممتعـة لحـد كبـير، ليـس فقـط بالنسـبة إلينـا بـل حتـى المعلـمات كانـوا يسـتمتعون بقـراءة قصصهـا إذ أن خيالهـا الواسـع يجعـل القـارئ بنفسـه يحطـم قيـود المعقـول، و أتذكـر أن معلمـة جاءتهـا بمجلـة أطفـال و حـددت لهـا ايميـل التواصـل مـع المجلـة و نصحتهـا بـأن تنـشر قصصهـا، رغـم ذلـك احمـر وجـه زميلتـي خجـلاً و رفضـت الفكـرة تمامـاً، قائلـة أن قصصهـا أقـل مـن مسـتوى أن تُنـشر في مجلـة، و رغـم تشـجيعنا لهـا و إصرار المعلمـة إلا أنهـا كانـت رافضـة للفكـرة تمامـاً.

و بعـد سـنوات تكـرر نفـس الموقـف بطريقـة أخـرى، تعرفـت عـلى زميلـة كانـت تشـاركني بحـب القـراءة، فكنـا نتبـادل الكتـب، و كانـت محترفـة بتلخيـص الكتـب، و تعشـق أن يسـألها أحـد عـن كتـاب مـا فتـسرد تفاصيـل الكتـاب مـن ذاكرتهـا و تنتقـد بعضـه و تـأتي عـلى ذكـر ايجابياتـه أو نقـاط أعجبتهـا مـن الكتـاب، وعندمـا طلبـت منهـا أن تنـشر ملخصاتهـا عـن الكتـب كقـراءات نقديـة في الصحـف ذُهلـت ثـم ضحكـت و رفضـت الفكـرة. يُقـال أن المدرسـة هـي المجتمـع بشـكل مُصغـر، لذلـك أعلـم بوجـود أشـخاص كبـاراً و صغـاراً، يحتقـرون مواهبهـم، و هـذا عائـد أساسـاً إلى احتقارهـم لذواتهـم.

قـرأت قصـة عـن طفـل مصـاب بشـلل الأطفـال، الـذي كان يعيقـه عـن اللعـب مـع باقـي الأطفـال بالخـارج، فعلمتـه والدتـه هوايـة بسـيطة تناسـب وضعـه، وهـي صناعـة الشـوكولاتة، و راح يمـضي جـل وقتـه في التفنـن بذلـك، حتـى احـترف صناعـة الشـوكولاتة، اشـتهر في حيـه بشـوكولاتاته اللذيـذة و أصبـح أبنـاء الحـي و الجـيران يطلبـون شراءهـا منـه، و كان يطـور أسـاليبه و ينـوّع أصنافـه، مـرت السـنوات و اشـتهر عـلى مسـتوى المدينة بأكملهـا، إلا أن هـذا لم يجعلـه يتوقـف عـن تطويـر شـوكالاتاته و التوسـع بتجارتهـا، حتـى أسـس شركـة عالميـة للتجـارة بالشـوكولاتة، انـه «فرانكلـين كلارنـس مـارس» مؤسـس شركـة مـارس الشـهيرة، التـي أنتجـت عديـد مـن أنـواع الشـوكولاتة و مـن أشـهرها سـنيكرز و مـارس.

نسـمع أيضـاً قصـص عـن بعـض لاعبـي كـرة القـدم الذيـن كانـت بداياتهـم في ملاعـب مهـترأة في أحيـاء فقـيرة، لكنهـم اليـوم لاعبـين عالميـين. الـذي أصـل إليـه أن امتـلاكك لموهبة وحدهـا لا تكفـي، و ثنـاء النـاس و إعجابهـم بهـا أيضـاً لا يكفـي، بـل لابـد مـن تنميـة هـذه الموهبـة، لكـن هـذا أيضـاً لـن يكـون لـه قيمـة في حـال لم تمتلـك الثقـة بالنفـس، لأجـل أن

تصنع طريق نجاحك يجب أن يعرفك العالم، و لأجل أن يعرفك العالم يجب أن تمتلك الثقة بالنفس و الرغبة بالتطوير. يقول الممثل و السينمائي الألماني روجر فريتس: «من يتصرف بدافع الخوف يظل خائفاً، و من يتصرف بدافع الثقة بالنفس يتطور».

أدب الأطفال.. المهمة الحقيقية

البعض، أشدد على كلمة البعض، يقللون من قيمة أدب الطفل، بل هناك من هو متورط بالكتابة والتأليف بمعنى من الساحة الأدبية، وينظر نحو الكتابة للطفل نظرة دونية إذا صح التعبير، وإن كانت هذه النوعية لا تجرؤ على الحديث بشكل عام بمثل هذه الآراء، إلا أنها في بعض الملتقيات الثقافية يصرحون ويتحدثون عن هذا الجانب، وإن غلفوا كلماتهم بالدبلوماسية.

غني عن القول أن مثل هذه الكلمات المحملة باللمز والغمز لفن أدبي عريق وصعب أيضا، مثل الكتابة للطفل، تنم وبشكل واضح عن ضحالة فكرية ومعرفية لدى هؤلاء حتى وإن كتبوا وألفوا، لأن أدب الطفل، تكمن الصعوبة فيه، للفئة التي تكتب لها، فضلا عن المرحلة العمرية لهذه الفئة، بمعنى ليست الكتابة للطفل نفسها متشابه أو متعلقة بمجال واحد، على سبيل المثال، عندما تشرع بكتابة رواية للكبار، ستكون للكبار، على مختلف أعمارهم، لكن عندما تكتب للطفل، فهذا يعني أن تحدد الفئة العمرية، هل هي قصة موجه للطفل في الرابعة أو في السادسة أو العاشرة أو حتى الحادية عشر أو أنه يافع، وهناك تقسيم علمي معروف يوزع الفئات العمرية للطفل بشكل أكثر دقة، يمكن لمن هو مهتم مراجعة هذا الجانب..

الإبداع في التأليف للطفل، هو في مهارة الكتابة لكل فئة، والتي تتطلب أسلوب محدد وطريقة مبتكرة وفكرة تناسب المرحلة العمرية، فضلا عن جودة اللغة وقوتها وفي نفس الوقت سهولتها وعدم تعقيدها، فمن هذا الذي يزعم بأن الكتابة للطفل سهلة وغير معقدة؟ أو أنها طريقة تأليف بسيطة ويمكن لأي واحد من اقتحام هذا المجال!.

في الغرب بصفة عامة واليابان والكثير من الدول، بات هناك إدراك مبكر لهذا النوع من الأدب، حيث تجد أن الروايات الأجنبية المخصصة للأطفال واليافعين يهتم بها وتتحول لأعمال عظيمة ومؤثرة مثل (مغامرات توم سوير) للمؤلف مارك توين، حيث نشرت هذه الرواية في عام ١٨٧٦ وإلى يومنا هذا تباع هذه الرواية في المكتبات وأيضاً (صبي الأدغال) التي نشرت عام ١٨٩٤ و (حكاية الأرنب بيتر) عام ١٩٠٠ وغيرها من الروايات، وحتى أن بعض شركات الأفلام قامت بمحاكاة بعض من هذه الروايات القديمة وتمثيلها، ونلاحظ إقبال الناس عليها وعرضها في القنوات المخصصة للأطفال، لذلك لابد من الاهتمام بالإنتاج الأدبي للطفل، لأن هذه الأعمال لها تأثير

عميـق في الطفـل، وجـودة القصـة للطفـل هـي العامـل الرئيـسي الـذي يجعـل الأطفـال ينجذبـون نحـو القـراءة..

وهـذه هـي المهمـة الحقيقيـة بـدلاً مـن التقليـل مـن منجـزات مؤلفـي أدب الطفـل، والانشـغال بالتقليـل مـن مهمـة ووظيفـة في غايـة مـن الأهميـة.

حتى يبقى الأطفالُ أطفالًا

تتغير حياة الإنسان وينتقل من مرحلة لمرحلة أخرى، وتارة تكون مراحل مليئة بالأمور الرائعة، وتارة أخرى تكون سلبية جدا. مثال على ذلك الطفولة التي عشناها، ومنها انتقلنا لمراحل أكبر في حياتنا.. فسلوك الطفل وأسلوبه في التعامل والتعاطي مع الناس من حوله دائما ما يكون رقيقاَ وعفوياً جداَ، ذلك لأنه لا يضع في باله عندما يتواصل مع الآخرين أي معايير وحسابات يجب على الآخرين تغطيتها عندما يصادقهم ويتعامل معهم باحترام، كما أن الأطفال لا يجاملون أو ينافقون أو يملئون قلوبهم بالزيف والخداع.

لكن هذا الطفل يتغير لأن هذه هي طبيعة الحياة، ومن هنا تبدأ المشكلة، فالأطفال كالصلصال، يمكننا أن نشكلهم كما نشاء وغالبا ما يكون تغيّرهم وتكوّن أفكارهم ناتج من التأثر بالمحيط الذي يلفهم. فالأسرة والمدرسة والمجتمع الخارجي لهم أثر بالغ في تكوين شخصية الطفل وأفكاره وتوجهاته عندما يكبر..

الأمر هو أننا نحولهم لنسخ مكررة منّا ولا ننشئهم على المحافظة على تلك القلوب الصادقة والبريئة.

هل لاحظتم يوما أن مجموعة من الأطفال يتشاركون اللعب والمرح لفترة من الزمن، وبعد مضي بعض الوقت تلاحظ أن هناك طفلا متروكا ومرفوضا بينهم وغالبا ما يتم التنمر عليه أو شتمه وضربه؟ كيف تغيرت أفكار الأطفال بعد أن كان صديقهم طوال تلك المدة؟ لعل السبب هو أنهم تعلموا الكره والرفض والعنصرية فيما بينهم.. وهذا لا يعني بالضرورة أن أحدا بالغا – كبيرا في السن - جاء ولقنهم كيف يكرهون ويشتمون ويضربون بل هي مشاهدات يرونها في حياتهم اليومية في البيت والمدرسة والشارع.

صحيح أن العالم ليس مثاليا، ولكن لابد من تنشئة الأطفال وتربيتهم على المثالية في التعامل مع الآخرين، فهذه فطرتهم التي تتغير بسبب فساد الأخلاق من حولنا وعلينا حمايتها وتأصيلها في أعماقهم أكثر. وكما قال الفيلسوف والمفكر اليوناني المعروف سقراط: «التربية على الأخلاق أهم للإنسان من خبزه وثوبه».

وفي أحيان كثيرة تكون هذه التربية، بالقدوة الصالحة المثالية، بمعنى على الأب والأم،

عـلى وجـه الخصـوص، تعديـل السـلوكيات والألفـاظ وتقويـم طـرق تعاملهـم مـع الآخريـن وداخـل منزلهـم، حرصـاً عـلى سـلوك طفلهـم ولينشـأ في بيئـة قويمـة تطلـق لـه المسـتقبل الواعـد الجميـل وهـو محمـل بقيـم رائعـة وقويمـة، التربيـة ليسـت تلقـين وتوجيـه، هـي سـلوكنا نحـن الكبـار، أمـام أطفالنـا، وكلـما كنـا مثاليـين أمامهـم، كلـما كان نموهـم العقـلي والتربـوي أكـثر مثاليـة.. هـذه هـي التربيـة الحقيقيـة.

عند فتح الإبريق

أطفالنا لهم تصرفات غريبة، وفي أحيان يقومون بفعل أمور لا نفهمها نحن الكبار، فتكون ردة فعلنا قاسية، دون محاولة أي تفهم لهذا السلوك الطفولي، الذي يحدث أننا نحطم هذا الطفل وبقسوة.. بين يدي قصة جميلة تحمل دلالة تربوية عميقة، وأيضا توضح ما أريد أن أوصله لكم.. وهي عن جيمس وات، وهو عالم ومخترع ومهندس اسكتلندي رائد في الثورة الصناعية، خلال مرحلة طفولته كان عند جلوسه أمام مائدة الشاهي مع عمته، يقوم برفع غطاء الإبريق ثم يعيده، ثم يرفع الفنجان ويضعه فوق البخار الذي يخرج من إبريق الشاي، ثم يعيده، ثم يرفع ملعقة ويضعها فوق الإبريق، ثم يعيدها، وكان يتساءل في نفسه أثناء قيامه بهذا الفعل، لماذا كان الغطاء يصعد عندما يقترب الإبريق من النار؟ ثم يعود إلى مكانه إذا أبعدناه عن النار؟.

كانت عمته تغضب وتوبخه قائلة: «يا لك من كسول يا جيمس، اذهب و اقرأ كتاب أو افعل شيء ينفعك بدلاً من اللهو بالمائدة و تضييع الوقت على هذا النحو».. كان جيمس وات في طفولته نحيلاً و هزيلاً وعرضه دوماً للسخرية من أقرانه وزملاءه، وبالرغم من هذا لم يتوقف عن الاستكشاف والتعلم والعمل، ومن كان ليعلم أن ذلك الصبي سيكون من أوائل من قاموا بتأسيس مبادئ القوه البخارية، فلم تكن عمته تعلم انه عندما كان يرفع غطاء الإبريق، وثم يعيده و يكرر ذلك مرات عديدة، لم تكن تعلم انه في الحقيقة يعمل على تجربته الأولى لاختراع المحرك البخاري والذي خدم البشرية لفترة طويلة وقد كان نقلة عظيمة في مجال الطاقة فقد اختصر على الإنسان الذي كان يعتمد على القوة البدنية الكثير من العناء وفتح آفاق جديدة من الوسائل التي خدمت البشرية، فصنعت القطارات البخارية والسيارات البخارية والعديد من الآلات الأخرى.

عندما رأت عمة جيمس أنه يلهو بغطاء الإبريق وبخته وأخبرته بأن يقضي وقته فيما ينفعه، وهذا من أسباب النجاح فلو كانت تلك العمة مثل العديد من الأمهات في العصر الحاضر لاكتفت بتوبيخه أو طلبت منه أن يذهب للهو بشيء آخر، وهنا يكمن الفرق في التربية وتدليل الأبناء، فقسوة عمة جيمس، عليه كانت تصب في مصلحته و بالرغم من هذا كله، جيمس لم يكن يلهو!

لذلك نحتاج أحياناً لتطوير أساليب تربيتنا لتتناسب مع أسلوب تفكير أبنائنا.. فعمة

جيمـس لم تكـن تعلـم انـه الآن يفكـر ويخـترع مـن أسـلوب توبيخهـا (اذهـب واقـرأ أو افعـل شـيئاً مفيـداً) نـدرك أنهـا تسـعى لتطويـر مهاراتـه وعقليتـه ولـو علمـت كيـف يفكـر جيمـس لمـا وبختـه هكـذا!! هـذه بمثابـة الرسـالة للآبـاء أن لا يسـتعجلوا في إطـلاق الأحـكام عـلى أبنائهـم و يكونـوا خـير داعمـين لهـم.

هل كانت السلحفاة عنيدة؟

في البعض من الأحيان قد تخذلنا الخبرة، فلا نعرف كيف نتعامل مع بعض المواقف الحياتية التي تمر بنا، وقد لا نستشير ونسأل، ونبدأ بالعلاج ووضع الحلول، ونحن نعتقد أننا نحسن الصنع، وفي الحقيقة نحن نرتكب خطأ وقد يكون فادح.

البعض من المواقف التي نسمع بها، أو حتى نقع فيها نحن بأنفسنا، نستغربها وقد نفسرها بأنها استهتار موجه ضدنا، أو حتى تعدي علينا وعلى كرامتنا، والمشاهد عديدة مثل أن تسلم على شخص ويتجاهل الرد، أو أن ترى وقد ازدحمت السيارات بباب منزل جارك، ضيوف يدخلون وآخرين يخرجون، ولم يقم بدعوتك، وتستغرب، خاصة وأنك دوما تقوم بدعوته على أي مناسبة تقيمها في منزلك، فتأخذ منه موقف عدائي وتعتبر أنه لا يقدر الناس ولا يحترمهم، وغيرها من الاتهامات، وهو غافل تماما، بل تقع الكثير من مثل هذه المواقف حتى بين الأصدقاء وزملاء العمل، وهي لا يكاد يمر بنا يوماً إلا وتكون واقعة بطريقة أو أخرى علمنا أو لم نعلم.

في هذا السياق أورد قصة قرأتها قبل فترة من الزمن تحكي عن طفل كان لديه سلحفاة يعتني بها ويلهو معها ويطعمها، في أحد الأيام الباردة جاء الطفل فوجد تلك السلحفاة داخل قوقعتها لتحتمي من البرد القارس فأنتظر الطفل لتخرج السلحفاة مرة أخرى لكنها أبت أن تخرج، أخذ يحاول أن يجعلها تخرج بشتى الوسائل الممكنة فضربها بالعصا وحاول هزها لكنها لم تخرج.

شاهد الأب ابنه متوتر وغاضب، فسأله عن سبب ذلك، أخبر الابن والدة عن مشكلته مع السلحفاة، التي تأبى الخروج من قوقعتها للهو معه، ابتسم الأب وطلب من ابنه أن يترك السلحفاة، وان يجلس معه أمام المدفأة حيث كانت النار مشتعلة، وما أن جلسوا أمام النار، حتى أخذت السلحفاة تخرج من قوقعتها لتقترب من النار هرباً من البرد القارس، وهكذا أخبر الأب ابنه أن كل شيء في الحياة يجب أن نختار الوسيلة الصحيحة لإصلاحه.

في الحقيقة أن السلحفاة لم تكن عنيدة لكي لا تخرج، بل كانت بحاجة إلى أن يفهم الطفل ما هو الشيء الذي يمنعها من الخروج من قوقعتها. وهكذا الحال بالنسبة للناس أيضاً يجب أن لا نقسو عليهم، وأن لا نجبرهم على ما لا يريدونه بالقوة أو أن نطلب منهم تبرير لأفعالهم وتصرفاتهم، بل يجب أن نجعلهم يشعرون بالارتياح

والأمـان والطمأنينـة، كـما شـعرت السـلحفاة بـدف النـار فخرجـت مـن قوقعتهـا، بينـما لم تخـرج عندمـا كان يضربهـا الطفـل عـلى تلـك القوقعـة، فكيـف هـو الحـال ونحـن نتعامـل مـع بعضـا البعـض، لدينـا أحاسـيس ومشـاعر، ينبغـي مراعاتهـا كي تتلقـى احـترام النـاس وتقديرهـم، وبالتـالي ينعكـس ذلـك عـلى حياتـك مـن خـلال تعامـل مـن هـم حولـك معك.

إن تقديـر ظـروف الآخريـن مـن أهـم الجوانـب الحياتيـة التـي ينبغـي مراعاتهـا.. وأيضـاً يجـب علينـا أن نلتمـس لهـم العـذر، فيـما لا نفهمـه مـن تصرفـات قـد تكـون عفويـة أو لهـا سـبب غائـب عنـا، وليكـن شـعارنا التمـس العـذر دومـا للآخريـن...

الأم لا تستسلم

قد لا تكون كل الأيام التي تمر بنا جيدة، ولكن هناك شيئاً جيداً في كل يوم منها، قرأت هذه المقولة منذ فترة من الزمن ولا أعرف من قائلها. لكن عند تأملها ستدرك أن هذه الحياة تحتوي على الأشياء الجميلة والممتعة والرائعة، وتحتوي أيضا على العكس، ولكن في بعض الأحيان يكون الخيار بين أيدينا، من حيث زيادة ألامنا وهمومنا أو تخفيفها.

ملامح هذا الخيار، وأننا نستطيع فعلا التغلب على أشواك الحياة وعقباتها ومصائبها بعدة فضائل بين أيدينا وجدتها ماثلة في كتاب ملهم حمل عنوان: chicken soup for the soul» حكت فيه فتاة أسمها «ليزا رايت» جانب من قصة حياتها، قالت فيها: « في يوم من الأيام تلقيت اتصال هاتفي من قسم شرطة فينلاند بولاية نيوجيرسي الأمريكية، وأنا في عملي، اخبرني الشرطي بأن منزلنا قد احترق، وأن جسد أمي قد أصيب بنسبة سبعين بالمائة من الحروق، لقد كان الطريق إلى نيوجرسي أطول طريق سرته في حياتي، فقد كنت أسترجع ذكرياتي مع أمي منذ طفولتي، وعندما كانت تصطحبني إلى المدرسة، وأتذكر حمايتها الدائمة لي ومنها عندما كان أحد الفتيان يضايقني بكلامه، وذهاب أمي إلى أسرة ذلك الفتى وإخبارهم بأسلوب قوي وشديد، أن يكفوا أبنهم عن مضايقة الآخرين. عندما وصلت إلى المركز لم أكن أعلم إن كنت مستعدة حقاً لما يمكن أن أراه، فقد كانت أمي ملفوفة بعصابة من رأسها إلى قدميها، وتبدو كالمومياء، ولا أرى منها سوى عينيها وانفها، انقضت تلك الليلة وأنا أبكي في معظمها، بسبب ذلك المنظر الأليم.

وفي صباح احد الأيام دخلت ممرضة وهي مبتهجة تقول: صباح الخير! ثم جاء ممرض آخر كان موكل بحالة والدتي وقال: هل أمضيت ليلة جيدة؟ وكان مبتهجاً أيضاً، وأزاح ستارة الغرفة ثم قال: لقد أمضت هي ليلة جيدة، وفي تلك الليلة، كانت أمي قد استيقظت وعندما رفعت بصرها ورأتني أشرق وجهها وبدأ كل من كان في الجناح بالتصفيق.

لقد كانت رحلة تعافي أمي طويلة ولكنها تعافت وذلك هو الأهم بالنسبة إلي، وبالرغم من تعافيها إلا أن الاندماج في المجتمع مرة أخرى كان صعب بعض الشيء، كان عليها أن تتعلم المشي من جديد، والحديث و الأكل وارتداء الملابس بنفسها، كان عليها أن تتعلم كل شيء من جديد.

وبغض النظر عن كونها يجب أن تحيى حياتها بهذه التشوهات الناتجة عن الحريق، إلا أنها فعلت ذلك وبدأت بالتأقلم مع الوضع».

لقد عاشت ليزا ووالدتها أيام عصيبة لكنها كانت بالنسبة إلى ليزا بمثابة درس، كما كتبت في قصتها: حاولت رغم صعوبة الأمر، أن اعتنق توجه أمي الذهني نفسه نحو إصابتها في الحريق طوال تلك السنوات، فدون الاكتراث بما تسببه لي الحياة، حاولت أن أتذكر أن انظر إلى النصف المملوء من الكوب، وأنا أدين بهذا لأمي التي لم تستسلم أبداً.

بقي أن نعلم بأن الأم لم تستسلم، بل تجاوزت هذه المحنة وأبنتها لم تنهار، بل وقفت بكل قوة مع والدتها، والسبب أن هذه الأم الشجاعة أعدت طفلتها لمثل هذا اليوم، لمثل نكبات ونزلات القدر، وهذا ما يفترض بنا أن نفعله مع أطفالنا أن نربيهم ونعلمهم الخبرات اللازمة التي تساعدهم في مواجهة الحياة وتحدياتها.

التعليم لا نريد إصلاح نريد تحول

أعتبر أن التعليم في العصر الحديث، يشبه المعادلة الصعبة، فهو جانب حياتي واسع جدا ويمس كل واحدا منا، ولها تأثير على مستقبل الأفراد والشعوب والأمم، ورغم أنه توجد نماذج لسياسات ناجحة، وتجارب ملهمة قامت بها مجتمعات ودول، وضعها التعليم في مصاف التقدم والنهوض والنمو الحضاري والازدهار، إلا أنه لا يمكنك استقطاب نموذجهم وإسقاطه عليك بكامله وبشكل حرفي. نحن ولله الحمد نعيش نهضة تنموية ومعرفية غير مسبوقة في عالمنا العربي، إلا أن طموحاتنا أعظم، وتطلعاتنا أكبر، وندرك أننا دون حركة تعليمية متفوقة وناجحة ودقيقة وتملك قدرة عالية ومرونة كبيرة من التطور والتغير والتماشي مع المتطلبات العصرية، فإننا لن نستطيع مواصلة هذه الزخم، وكل هذا الحماس والحيوية.

اليوم تملك بلادنا خطط تنموية طموحة، وتطلعات عالية وكبيرة جدا، فنحن لدينا وكالة للفضاء، ولدينا برنامج طموح لغزو الكون، لدينا مدن طبية ومراكز أبحاث طموحة وعلماء قدموا مخترعات وسجلوا براءات، ونحتاج للمزيد من الزخم وللمزيد من الموارد البشرية المؤهلة القادرة على العمل بقدرة مهنية وعلمية، نحتاج لتعليم يوازي كل هذه الطموحات، وحركة تعليمية متوازنة بين مبادئنا الراسخة وحاجات عالم اليوم، نحتاج لتعليم متطور يتنفس وله روح، وليس جامد وهيكل بادر، نريد تعليم يتماشى مع العصر ومخترعاته المتسارعة.

يقول الدكتور كين روبنسون، وهو أحد رواد صناعة الإبداع والابتكار: « لم تتم تصميم نظم التعليم الحالية لتناسب التحديات التي نواجهها حالياً، بل تمت صياغتها لتناسب احتياجات أزمنة قد انقضت، ولن يكون الإصلاح كافيا فهي تتطلب تحولاً كاملاً». ولعل هنا النقطة المحورية، أو كما يقال هنا نختلف ونتفق، فمن غير المعقول انك يون المنهج الدراسي بمثابة المقدس الذي لا يمس إلا في نطاق ضيق ووفق شروط وهالة من الاجتماعات وعشرات العشرات من الخبراء، اللذين يمضون العام والعامين من أجل الإضافة والحذف، وإذا أقرت كان الزمن قد تجاوزها، نريد مرونة اكبر وحركة متسارعة تأخذ بآخر متوصل له العلم من الخبرات والمخترعات، وان يجدها أبنائنا في منهجهم بكل زخمها، نريد من المناهج أن تكون جزء من حياتنا وتطلعاتنا وليست تتحدث عن عالم مضى وانتهى..

نريد فيها نبض وروح وحياة، ولا أخفيكم أنني كلما سمعت تصريح لأي مسؤول في

مجـال التعليـم في عالمنـا العـربي بصفـة عامـة، وهـو يتحـدث عـن إصـلاح الهيـاكل والمنهـاج والطـرق، أردد نحـن نحتـاج لتحـول كامـل حتـى في التفكـير والطريقـة.

التعليم لماذا نخاف الابتكار ؟

يظل التعليم هاجس لكل بلد ينشد الرخاء والتطور والتقدم، وتظل العملية التعليمية الأهم للإنسان كونها العملية التي تبدأ معه منذ نعومة أظافره وحتى مرحلة متأخرة من العمر، وأقصد بالتعليم النظامي الذي يبدأ من التمهيدي مرورا على المراحل الدراسية المختلفة وصولا للجامعة، والبعض قد يكمل للماجستير ثم الدكتوراه، وهناك بطبيعة الحال نوع من التعليم خارج عن المؤسسة التعليمية، أقصد به المعارف التي تكتسب من الخبرات والتوجيهات والملاحظات، إذن للعملية التعليمية أثر عظيم وواضح في حياتنا.

تداعت لذهني هذه الأفكار وأنا اقرأ خبر من فنلندا حيث يفكر المسئولين هناك لإلغاء المواد الدراسية، ومن المعروف أن نظام التعليم الفنليدي يعتبر من أفضل نظم التعليم في العالم، وتعتبر بين أول عشر دول في العالم في تصنيف أنظمة التعليم، ورغم هذا فإن سلطات ومسئولي التعليم هناك لا يفكرون في الحفاظ على هذه المكانة بنفس الآليات والطرق، بل بإحداث ثورة حقيقية في طريقة التعليم نفسه، والفكرة وفق ما نقلته الكثير من وكالات الأنباء وهي النقطة اللافتة للأمر، أن عملية التطوير ترتكز على محور جوهري يتعلق بإلغاء المنهج الدراسي نفسه، وهذا يعني إلغاء مادة الرياضيات والفيزياء والتاريخ والجغرافيا وغيرها، وهي الطريقة التعليمية المعمول بها منذ عام١٩٠٠م حسب ما صرح به مارجو كيلونين، مدير قسم التعليم في العاصمة هلسنكي، الذي قال: « الاحتياجات تغيرت الآن، ويتحتم علينا إنشاء نظام يناسب القرن الحادي والعشرين».

أما كيف سيتعلم الطلاب والطالبات؟ فالفكرة تنحصر بدلا من دراسة المواد العلمية منفصلة في مناهج مقسمة على كتب متفرقة، أن يقوم الطلاب بدلا من هذا بدراسة الأحداث والظواهر من جوانب متعددة، وساقوا مثال بالحرب العالمية الثانية، التي ستدرس من الجانب التاريخي والجغرافي والرياضيات، ودورة تحمل عنوان « العمل في المطعم» يتعلم خلالها الطلاب اللغة الانجليزية والاقتصاد ومهارات الاتصال، وأنه وفقا لهذه الطريقة الجديدة في التعليم سيتمكن الطلاب من اختيار الموضوع أو الظاهرة التي توافق أفكاره واتجاهاته في الحياة، وهناك تفاصيل أخرى حملها الخبر، لكن ما يهمني في هذا السياق، هو الرغبة الواضحة في الابتكار لدى مسئولي التعليم في فنلندا وعدم خوفهم من التطوير حتى ولو مس جذور متأصلة، لأن لديهم رغبة واضحة في التميز، والذي سيحدث الآن ستقر هذه الطريقة وستتربع على عرش

التميـز في نظـام التعليـم عـلى مسـتوى العـالم، ونبـدأ بعدهـا بنسـخ التجربـة بعـد عقـد أو عقديـن، والسـبب هـو الخـوف مـن التطويـر والتغيـير، أو عـدم الرغبـة الحقيقيـة بالابتـكار والتميـز.

المعرفة قوة حتى مع أطفالنا

كل يـوم تتزايـد في ذهنـي حقيقـة لا منـاص منهـا، وهـي أن العلـم نعمـة، والمعرفـة زاد ثمـين في مسـيرتنا في هـذه الحيـاة، وأن مـن نعـم اللـه علينـا أن هـذه جميعهـا متاحـة لنـا، خاصـة في زمننـا هـذا، حيـث بـات الحصـول عـلى المعـارف والمعلومـات متاحـة وبضغـط زر مـن هاتفـك الجـوال، الـذي يصلـك بالعـالم في لمـح البـصر.

رغـم هـذا فـإن هنـاك مـن لازال في عـالم آخـر مـن التراجـع المعـرفي، والمشـكلة أن هـذا التعـثر مـن أنـاس يفـترض فيـه الوعـي والعلـم، والقـدرة عـلى الفهـم، ومعرفـة طبيعـة شـبكة الانترنـت، وأنهـا تحتـوي في كثـير مـن الأحيـان عـلى معلومـات ثمينـة لا تقـدر بثمـن، قـد تنقـذ حيـاة إنسـان برمتهـا مـن مجاهـل التخلـف والألم.

قبـل فـترة مـن الزمـن شـكت إحـدى الصديقـات مـن عـارض يـلازم طفلتهـا، منـذ أكـثر مـن ثلاثـة أعـوام، وهـو بكائهـا الشـديد قبـل النـوم، كأنهـا تهـرب مـن النـوم ولا تريـده خوفـا منـه.

وعندمـا سـألتها مـا الإجـراء الـذي اتخذتـه لمعالجـة هـذه المشـكلة، قالـت بالحـرف الواحـد بأنهـا لم تـترك قـارئ ولا مطـوع إلا ذهبـت لـه، وأنهـا دهنتهـا بزيـت مقـري عليـه، ولكـن دون جـدوى، هـذه الصديقـة متعلمـة وتحمـل شـهادة عليـا، ورغـم هـذا جهلـت أن حالـة طفلتهـا نفسـية لا أكـثر، والمشـكلة أنهـا لم تكلـف نفسـها عنـاء تصفـح غوغـل لتجـد مئـات بـل ملايـين الحـالات مثـل حالـة طفلتهـا، قـد يدهشـكم أن مشـكلة هـذه الطفلـة الصغـيرة انتهـت تمامـا بمراجعـة الأم لطبيبـة متخصصـة في العـلاج النفـسي، شرحـت لهـا طبيـا وعلاجيـا المشـكلة التـي تعانيهـا أبنتهـا وأرشـدتها أيضـا علاجيـا ونفسـيا كيـف تتعامـل مـع أبنتهـا، تقـول هـذه الصديقـة بأننـي أنقـذت طفلتهـا وأنقذتهـا هـي أيضـا لأنهـا كانـت تعـاني مـن بـكاء طفلتهـا المتواصـل في كل ليلـة حتـى يغلبهـا النـوم.

وأنـا أقـول لهـذه الصديقـة، لقـد بقيـت طفلتـك في معمعـة مشـكلة طـوال ثلاثـة أعـوام، لم يسـعفك علمـك ولا دراسـتك بمعرفـة السـبب، راجعـي علمـك وركـزي عـلى البحـث عـن المعرفـة لأنهـا سـلاح يحمينـا في أحلـك الأوقـات.

حتى لا تتوقف العقول الواعدة

كثير من علماء التربية والمجتمع، حذروا من الإدمان على الهواتف الذكية، وهناك دراسات ذهبت إلى أن هذا النوع من الإدمان يعد الأخطر، كونه يحدث دون الشعور وفي اللحظة نفسها لا توجد عيادات ولا أقسام متخصص للعلاج وتقديم الاستشارات اللازمة، رغم أن ضرر الإدمان على تقنيات الاتصالات الحديثة، فادحة على مستوى الفرد والمجتمع.

وفي دراسة ألمانية نشرت حديثا بينت: «أن الشباب يقضون في المتوسط من ثلاث إلى أربع ساعات يوميا على الإنترنت» ومن وجهة نظر شخصية أعتقد أن عدد الساعات أكبر، وهذا الوقت يتم تمضيته في الدردشة والتنقل بين الحسابات المختلفة لمواقع التواصل الاجتماعي، وأيضا لسماع الموسيقى ومشاهدة الأفلام ولا تنسى الألعاب، وان هذا السلوك يتزايد يوما بعد آخر.

وفي الحقيقة لم يعد شيئا مستغربا أن تشاهد في الأماكن العامة كالمطاعم والمقاهي، أثنين أو أكثر يجلسون على طاولة واحدة وكل واحدا منهم ممسكا بهاتفة الجوال ومنغمسا تماما، ولا تتم بينهم إلا أحاديث مختصرة ومبتسرة، بل تشعر بأنهم منفصلون عن الواقع تماما.

العلماء يبينون أنه مع تزايد التطبيقات على تلك الهواتف الذكية وتزايد التوجه الحياتي نحوها لأنها تقدم لنا الكثير جدا من التسهيلات، فإن موجة من الإدمان التام على تلك الأجهزة في الطريق، وأن ما نراه ما هي إلا البداية فقط، وأن التكنولوجيا الحديثة وتأثيراتها لم تبدأ بعد، وأن هذه التكنولوجيا لم تقدم حتى الآن جميع ما لديها ومن غير المتوقع أن يكون لها حد في التطور والتقدم.

والمطلوب الآن ليس مقاومة هذه التطورات، لأنها واقع وسيل جارف ستزيح كل من يحاول اعتراضها، وأيضا الرفض لن يحقق الهدف المنشود والمطلوب، ولكن من البديهي أن يرافق هذه التطورات في تكنولوجيا الاتصالات الحديثة، تطورات في تقديم النصح وعيادات وخبراء متخصصين للعلاج من هذا النوع من الإدمان، وأيضاً لتقديم استشارات للطلاب والفتيات عن الاستخدامات الأمثل لهذه التقنيات، بمعنى نحتاج لتقديم برامج حيوية ونشطة تسير جنبا لجنب مع هذه التقنية بل تستخدم هذه التقنية للوصول للضحايا، اللذين بمجرد ما يقعون في شرك الإدمان

التقنـي فـإن قدراتهـم وإنتاجيتهـم تتعطـل، وهـذه خسـارة فادحـة لأي مجتمـع خاصـة وهـم في مقتبـل العمـر وفي زخـم عطائهـم المتوقـع منهـم، لنعمـل عـلى عـدم التسـبب في وقـف العقـول الواعـدة المتوثبـة للمسـتقبل.

حتى لا نؤثر على مستقبلهم

دوماً نسمع مقولات تحث على أنه يجب على كل واحدا منا أن يتبع شغفه بهمة ورغبة وحماس، ويتم في العادة توجيه مثل هذه الكلمات لكل من هو في مقتبل العمر من الفتيات والشباب، خاصة في عصرنا والذي نشاهد تزايد وتيرة الدورات التدريبية التي تتحدث عن المستقبل والدروس والكتب عن التنمية الذاتية والبشرية، والتي تهدف لزيادة وتيرة الحماس للأجيال المقبلة، وتحاول أن ترشدهم نحو مستقبل جميل ومزدهر، وهذا في مجملة كما أسلفت جيد، ولكن يبقى سؤال مهم وحيوي، ما هو هذا الشغف؟ ومن يحدده؟ وكيف ينبع ويظهر؟ ثم كيف يتحول لشغف؟ مثل هذه الأسئلة لعلها تكشف جانبا مهما مما أريد الوصول له، وتحديدا كيف يتم إقناع من هو في مقتبل العمر بالشغف بموضوع ما أو بمهنة أو برغبة ما، ثم نعتبر هذا الشغف مقبولاً ومفيداً للمجتمع ككل، وهنا تبدأ المعضلة الحقيقية، خاصة ونحن نعلم أن رغباتنا الذاتية الشخصية ليست في مجملها مفيدة وتتواكب مع تطلعات المجتمع ككل، بمعنى أن شغفك قد يكون في شيء بعيد تماماً عن سياق مهامك الوظيفية، وبالتالي تتوجه نحوه على حساب الاهتمام بتطوير قدراتك ومهاراتك الإدارية، مرة أخرى قد يكون بيننا من لديه شغف بركوب الخيل أو بحب البحر ورحلات الغوص، كيف يمكن لهذا الشغف والرغبة أن تنعكس إيجابياً على مهامه الحياتية سواء في العمل أو الدراسة، أو في التعاطي السليم مع والديه وأسرته، خاصة ونحن نقول له أن يتوجه نحو شغفه بقوة ودون أي تردد، وأنه إذا لم يفعل هذا فإنه في المستقبل سيندم، ببساطة نحن نوجه رسالة مؤذية لكل من هو في متقبل العمر عندما نحثهم بقوة ونزيد حماسهم بالاهتمام بشغفهم وبرغباتهم الذاتية وعدم الالتفات لأي شيء قد يعيقهم.

الذي أريد الوصول له، أن نتروى في كلماتنا، خاصة عندما توجه نحو الفتيات والشباب وهم في مقتبل العمر، ولندرس الرسالة التي نريد توجيهها لهم، ونفهم عمقها ومحتواها بدقة ومعرفة، حتى لا تسبب لهم تشويش غير مبرر قد يؤثر فعلاً على مستقبلهم.

درهم الحلاق والطفل الذكي

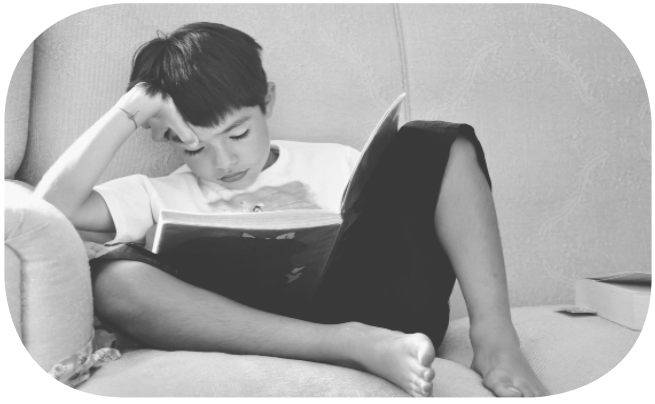

بطبيعة الحال تختلف أولوياتنا في الحياة، وتبعا لها تختلف اهتماماتنا وأفكارنا، بل نحن نختلف حتى في طريقة التفكير، وهذا الاختلاف يجعل البعض منا يعتقد أنه يملك الذكاء المطلق، وأنه هو الذي يتمتع بعقل عبقري، والآخرين لا يملكون من الذكاء شيء، لذا تجده يسخر منهم ويلقي النكت والطرف عليهم، وهم في الحقيقة قد يكونوا أكثر ذكاء لكن اهتماماتهم لا تتعلق بإثبات أنهم الأفضل له، في هذا المعنى أستحضر قصة عن حلاق وفتى، وهذه القصة توضح أن الذي نعتقدهم أغبياء قد يكونوا أغبياء وفق رغبتهم ولهدف يريدون تحقيقه، وهم في الحقيقة أكثر ذكاء، تقول القصة:» في إحدى الأيام دخل فتى إلى محل حلاقة، فقام الحلاق بالهمس في أذن الزبون، الذي يجلس على كرسي الحلاقة، وقال هذا أغبى فتى، رأيته، والآن سوف أثبت هذا لك، قام الحلاق بوضع درهم في يده اليمنى وفي يده اليسرى ٢٥ فلساً، وقام بتخيير الفتى بينهما فأختار اليد اليسرى التي بها ٢٥ فلساً، فنظر إلى الزبون نظرة الانتصار وهو يضحك، وقال له رأيت هذا أغبى فتى في العالم، فأنا أعرض عليه في اليوم عدة مرات درهم ويختار ٢٥ فلساً. عندما انتهى الزبون من الحلاقة دفعه الفضول، وتوجه نحو الفتى الذي كان يجلس بجانب محل الحلاقة، وسأله لماذا تختار الـ ٢٥ فلساً في كل مره ولا تختار الدرهم رغم أنه أعلى قيمه، فقال الفتى مجيباً: لأن اليوم الذي آخذ فيه الدرهم سوف تنتهي اللعبة.

الآن من هو الذكي هل هو الحلاق أم الفتى؟ بالنسبة للفتى لا يهم أن يظهر بأنه غبي، لأن اهتمامه منصب في الكسب المالي دون تعب، لذا يساير الحلاق ويساعده في إثبات وجهة نظره بأنه غبي فقط ليضحك، ولعل بين سطور هذه القصة فائدة جوهرية وهي ألا نستهين بذكاء الآخرين، فلكل منا الجانب الذي يشكل بالنسبة له اهتمام ويصب غالب التفكير حوله.

نريد لأطفالنا مثل أطفال فنلندا

لماذا فنلندا تتصدر العالم في التعليم؟ هذا السؤال الذي قمت بطرحه على نفسي، ما الذي ينقصنا في عالمنا العربي بصفة عامة، ويمنعنا من تصدر العالم في جانب حياتي حث عليه ديننا الحنيف وأولها العناية الكبيرة، قمت بعملية بحث عن أسس التعليم في فنلندا وعلى ماذا يقوم ويرتكز عليه، وجدت أن معظم الأسباب عامة، يمكن لأي دولة تطبيقها وببساطة متناهية، وبقي السؤال إذن لماذا لا نفعل؟

فنلندا دولة صغيرة، تعتبر أقوى دولة في العالم في التعليم حسب تقرير التنافسية العالمي، أما أسباب هذا التفوق فلأنها، قامت بوضع التعليم كجزء من الهوية الوطنية، وأعتقد أننا جميعنا نستطيع تطبيق هذا الجانب، بل هو في صالحنا جميعا، وتم إيراد سبب آخر وهو الدقة في اختيار المعلمين، وهو ما يعني أن مهنة التدريس صعبة، ولا يتقدم لها إلا النخبة، وهذا بديهي وأعتقد أن هناك دول كثيرة تعلي من قدر المعلم وحوافزه، مثل اليابان وغيرها، والمطلوب منا إعداد مشروع بخصائص معلمينا ونبدأ في تطبيقه، لكن من الأسباب التي فعلت أدهشتني هو أن ساعات الدراسة أقل والراحة أكثر، وهذا لأنهم يركزون على العمق ولكم أن تعلموا أن المعلمين يعملون فقط أربع ساعات يوميا بمعنى ٢٠ ساعة أسبوعيا، لأنهم يركزون على الجوهر والمضمون وليس الكم مثلنا، وسأذهلكم مرة أخرى بأنهم في فنلندا لا يقومون بتوزيع الطلاب حسب مستواهم التعليمي، وهم يرفعون شعار «لا تترك الطفل بالخلف» وبالمناسبة هذا الشعار انتشر في معظم دول العالم إلا عالمنا العربي، وببساطة يدعوا لعدم عزل وتصنيف الأطفال وفق مستواهم التعليمي، لأن هذا فيه إحباط للطفل في مقتبل حياته، أيضا ركزوا على تقوية الارتباط بين المعلم والطالب، فقد يتسمر المعلم مع فصله لنحو خمسة أعوام دراسية، وينتقل معهم من مرحلة لأخرى، وعددهم لا يتجاوز عشرين طالبا فقط، وبطبيعة الحال هناك أسباب أخرى، لكنني أريد أن اسأل عن جدوى أن يتوجه الطفل منذ السادسة صباحا إلى مدرسته ولا يعود إلا الثالثة أو الرابعة بعد الظهر، وهو منهك ومرهق، ولا وقت لديه لممارسة اللعب ولا هواياته؟ بل ما جدوى تقييم الطفل منذ نعومة أظفاره وإخراج تقرير أتقن لم يتقن، واختبارات وهالة من التضخيم الغير مبررة؟.. يا وزير التربية أرجوك ارحم أطفالنا، نريد تعليم أطفالنا مثل فنلندا، فهل هذا صعب؟!!

كنز البشرية في مجال التعليم والتعلم

وسائل التعليم في تطور يوماً بعد الآخر، ولكن المذهل أن هناك طرق في التعليم قديمة جدا وبدأت منذ قرون طويلة من الزمن ولكنها تثبت جدواها وفعاليتها حتى اليوم، وتحديدا في هذا العصر الذي يتوهج بالمعلومات والتكنولوجيا الحديثة، هذه الطرق في التعليم تثبت أقدامها كطريقة مجدية وأيضاً مبدعة في مجال تعليم النشء بصفة خاصة والتعليم بصفة عامة، واحدة من هذه الوسائل التعليمية أو الطرق، ما يعرف بالتعلم بالخطأ والصواب، وهي أن تمنح الطفل فرصة التجريب والتعلم من الأخطاء التي يقع فيها، وهناك طريقة ثانية تسمى التعلم بطرح التساؤلات، وهي أن يعمد المعلم أو الموجه أو المربي بطرح أسئلة في موضوع ما تبدوا مألوفة للمتلقي أو بسيطة فيدفعه للإجابة والمشاركة والفعالية، ثم يتبعها الدخول في نقاش وحوار حول تلك الإجابة نفسها، حتى يصل المتلقى نفسه للإجابة الصحيحة، وهذه الطريقة تفيد أنها تجعل المتعلمين هم من يساهم في التفكير والبحث عن المعلومة الصحيحة، أيضا من طرق التعليم ما يعرف بالاستقصاء، وهي تعد طريقة قديمة في مجال التعليم، وترجع إلى نحو ٤٠٠ قبل الميلاد، وتحديد إلى الفيلسوف اليوناني الشهير سقراط، حيث يعتبره المؤرخين أول من أستخدم الاستقصاء كطريقة للتعليم والتدريس.

وهذه الطريقة ببساطة متناهية تعتمد على أن المتعلم يملك معلومات ومعارف مسبقة، مهما كان مستوى ونطاق هذه المعلومات إلا أنها موجودة، ولذا تقوم هذه الطريقة بمحاولة الإضافة للمتعلم على المعلومات التي لديه أو تصحيح الخطأ في معلوماته ومعارفه، وذلك عن طريق الحوار والتساؤل والنقاش، حيث يعتبر سقراط أن هذا هو دور المعلم، وهو التصحيح والإضافة وتقديم المعارف الجديدة.

لقد كان الإنسان منذ القدم لديه شغف وطموح كبير، في التعلم واكتساب المعارف، ولأن هذه المهمة أزلية فإن طرق التعليم والاستفادة من المعارف المختلفة هي أيضا قديمة وسارت مع الإنسان جنبا لجنب وتطورت معه، لذا البشرية لديها كنز تراثي عظيم في مجال العلوم والمعارف، وما على صناع القرار في مجال سياسات التعليم، إلا إرخاء السمع والاطلاع على هذا الإرث، بدلاً من محاولة الاختراع والابتكار وسن سياسات يتم الكشف بعد فترة من الزمن أنها لم تكن ناجحة.

هدف بسيط

مـن الأفـكار الصغـيرة، تنبـع المنجـزات الكبـيرة، أو كـما يقـال يبـدأ كل شيء مـن هـدف صغـير، سرعـان مـا ينمـو ويكـبر.

وهـذا ملاحـظ في حياتنـا دومـاً، وكثـير مـن السـير الذاتيـة وذكريـات العظـماء، الذيـن قدمـوا خدمـات جليلـة للبشريـة تحدثـوا عـن أحـلام متواضعـة منـذ نعومـة أظفارهـم، تشـبثوا بهـا وسرعـان مـا قادتهـم نحـو تلـك المنجـزات التـي حققوهـا.

مهـما كان هـدف أطفالـك متواضـع وبسـيط لا تحطمـه، ولا تملـئ عليهـم مـا يحلمـون بـه، لأن تلـك الأحـلام التـي تراهـا اليـوم واهنـة متواضعـة سـتنمو معهـم، وسـتقودهم نحـو العزيمـة لتحقيقهـا، قـرأت قصـة تعـود لعـام ١٩٥٧م عـن طفـل يبلـغ مـن العمـر عـشرة سـنوات، يعيـش في كاليفورنيـا، كان كل مـا يرغـب بتحقيقـه هـو الحصـول عـلى توقيـع «جيـم بـراون» الـذي يعتـبر في حينهـا أعظـم مهاجـم في لعبـة كـرة القـدم للمحترفـين، هـذا الفتـى الصغـير نشـأ في حـي فقـير، ولم يكـن يجـد مـا يسـد جوعـه، ويعـاني مـن سـوء التغذيـة، ومـن مـرض الكسـاح الـذي أجـبره عـلى ارتـداء جبـيرة صلبـة لدعـم سـاقيه النحيفتـين المقوسـتين، وبطبيعـة الحـال لم يكـن يملـك المـال لـشراء تذكـرة لحضـور أي مبـاراة، لكنـه رغـم هـذا نجـح في التسـلل والوصـول إلى غرفـة تبديـل ملابـس اللاعبـين، وهنـاك أنتظـر المبـاراة حتـى تنتهـي، وبعـد انتهائهـا، توجـه اللاعبـين لغـرف تغيـير الملابـس، وهنـاك تقـدم هـذا الصبـي إلى لاعبـه المشـهور «جيـم بـراون» وطلـب منـه توقيعـه بـأدب، وبينـما كان «بـراون» يضـع توقيعـه، قـال لـه الصبـي: سـيد بـراون، إننـي أعلـق صورتـك عـلى الحائـط في غرفتـي، أعلـم انـك حققـت أرقـام قياسـية، وأنـا معجـب بـك اشـد الإعجـاب.. ابتسـم «بـراون» وهـم بمغـادرة المـكان، ولكـن الصبـي لم ينتهـي مـن كلامـه فقـال: سـيد بـراون، يومـاً مـا سـأحقق كل الأرقـام القياسـية التـي حققتهـا! تأثـر بـراون وسـأله قائـلاً: مـا اسـمك يـا بنـي؟ أجـاب الصبـي قائـلاً «اورنثـال جيمـس» أصدقـائي يدعوننـي أوه جيـه.. المفارقـة العجيبـة والغريبـة، أن ذلكـم الصبـي الواهـن الفقـير، نجـح في احـتراف كـرة القـدم، وتحطيـم جميـع أرقـام نجمـه الشـهير، عـدا ثلاثـة منهـا، حيـث توقـف عـن مواصلـة مسـيرته بسـبب الإصابـات، ولكنـه خلـد أسـمه في تاريـخ كـرة القـدم الأمريكيـة.

الـذي فعلـه ذلكـم الصبـي الفقـير الواهـن الـذي يعـاني مـن سـوء التغذيـة ومـن الكسـاح، أنـه سـمح لأحلامـه بـأن تـسري في دمـه، وأن تكـون جـزء مـن تفكـيره، لـذا نجـح وصعـد

منصـة المجـد، ويجـب علينـا أن نسـمح لأفـكار أطفالنـا بـأن تكـون عفويـة وتنمـو وتكـبر معهـم، دون إمـلاء أو توجيـه أو وصايـة.

صحيح أن العالم ليس مثاليا، ولكن لابد من تنشئة الأطفال وتربيتهم على المثالية في التعامل مع الآخرين، فهذه فطرتهم التي تتغير بسبب فساد الأخلاق من حولنا وعلينا حمايتها وتأصيلها في أعماقهم أكثر. وكما قال الفيلسوف والمفكر اليوناني المعروف سقراط: «التربية على الأخلاق أهم للإنسان من خبزه وثوبه».

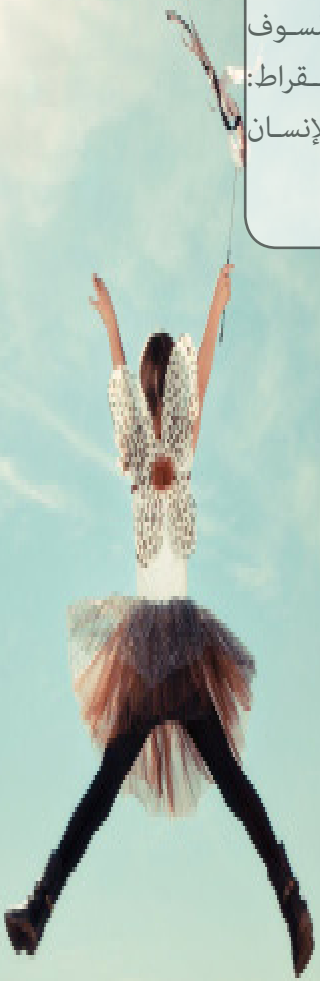

Future Creativity
الإبداع و المستقبل
creativity and future